الهجرة
والتكيف الاجتماعي

دراسة أنثروبولوجية
في مدينة بهرز

أطروحة دكتوراه تقدم بها
فخري صبري عباس العزاوي

إلى
مجلس كلية الآداب / جامعة بغداد
وهي جزء من متطلبات نيل درجة دكتوراه فلسفة
في علم الاجتماع

بإشراف
الأستاذة الدكتورة
ناهدة عبد الكريم حافظ

تشرين الأول ٢٠٠٥م

رمضان ١٤٢٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

((قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا
مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ
أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا))

(النساء: ٩٧)

صدق الله العظيم

إقرار المشرف

اشهد ان هذه الأطروحة الموسومة (الهجرة والتكيف الاجتماعي دراسة أنثروبولوجية (في مدينة بهرز) قد جرى تحت إشرافي في كلية الآداب / جامعة بغداد وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه فلسفة في علم الاجتماع

التوقيع

المشرف أ.د . ناهدة عبد الكريم حافظ

التاريخ / / ٢٠٠٥

بناء على التوصيات المتوافرة ، أرشح هذه الأطروحة للمناقشة

التوقيع

أ.د. ناهدة عبد الكريم حافظ

رئيس قسم الاجتماع

كلية الآداب / جامعة بغداد

التاريخ / /٢٠٠٥

اقرار لجنة المناقشة

شهد اننا اعضاء لجنة المناقشة اطلعنا على هذه الأطروحة الموسومة(الهجرة والتكيف الأجتماعي ـدراسة تروبولوجية في بمرز).

قد ناقشنا الطالب في محتوياتها وفيما له علاقة بها . ونعتقد انها جديرة بالقبول لنيل درجة دكتوراه فلسفة في علم لاجتماع وبتقدير ( ).

ئيس اللجنة

توقيع :

لاسم : أ .د. عبد اللطيف عبد الحميد العاني

تاريخ : ٧٨/ ١ / ٢٠٠٦

المشرف على الأطروحة

التوقيع:

الاسم: أ.د. ناهدة عبد الكريم حافظ

التاريخ : ٧٨/ ١ / ٢٠٠٦

عضوا

توقيع:

لاسم :أ.د.علاء الدين جاسم البياتي

تاريخ: ٧٨/ ١ / ٢٠٠٦

عضوا

التوقيع:

الاسم:أ.م.د.طالب مهدي السوداني

التاريخ : ٧٨/ ١ / ٢٠٠٦

عضوا

توقيع:

لاسم: أ.م.د. علي عبد الأمير علي

تاريخ: ٧٨/ ١ / ٢٠٠٦

عضوا

التوقيع:

الاسم:أ.م.د.محمود محمد سلمان

التاريخ : ٧٨/ ١ / ٢٠٠٦

صدقت الأطروحة من قبل مجلس كلية الأداب

عميد الكلية

التوقيع:

الاسم:د.فليح كريم خضير الركابي

التاريخ: ٧٨/ ١ / ٢٠٠٦

الإهداء

إلى من كان لهم الفضل في منحي الفرصة
في إنجاز هذا البحث

زوجتي
ولدي
وسام واحمد
بناتي
ليلى ، لبنى ، انهار

أهدي بحثي هذا

فخري

شكر وتقدير

الحمد والشكر لله الذي هداني إلى درب الإيمان والعمل الصالح ومنحني القدرة على الخوض في غمار العلم والبحث وأعانني على مواجهة الصعوبات التي اعترضت سبيل الباحث

وبعد .... فبعد أن انتهى الباحث من إعداد هذه الأطروحة , ومن العرفان بالجميل لا بد من توجيه الشكر والتقدير إلى كل من تفضل بتقديم العون والمساعدة للباحث في إنجاز بحثه فإلى:

١- الأستاذة الدكتورة ناهدة عبد الكريم حافظ التي أشرفت على الأطروحة وكان لتوجيهاتها السديدة وآرائها القيمة الفضل في إنجاز هذا البحث .

٢- الأستاذ الدكتور قحطان الناصري لدوره في اختيار العنوان ومساهمته في وضع خطة البحث .

٣- أساتذة قسم الاجتماع وموظفي الدراسات العليا ومكتبة قسم الاجتماع ومكتبة الدراسات العليا في الكلية للمساعدة في توفير ما احتاج له الباحث.

٤- عميد وأساتذة وموظفي كلية التربية الأساسية لجامعة ديالى لمساندتهم الباحث في بحثه .

٥- الأستاذ المساعد الدكتور عبد الحسين المنصوري لآرائه وتوجيهاته في مساعدة الباحث على إنجاز بحثه .

٦- الأستاذ المساعد الدكتور محمود محمد سلمان على توجيهاته القيمة .

٧- الأستاذة المساعدة الدكتورة أسماء كاظم فندي المسعودي والأستاذة المساعدة الدكتورة ابتسام عبد الكريم المدني لجهودهما في مد يد العون للباحث.

٨- أهالي مدينة بهرز وحي الدواسر الذين وفروا للباحث المعلومات القيمة الخاصة بموضوع البحث .

٩- إلى كل الذين تقدموا والذين أعانوني في إنجاز بحثي هذا شكري وتقديري.

ومن الله التوفيق

الباحث

المقدمة

إن الهجرة كانت وما زالت من الظواهر الاجتماعية التي يرتبط وجودها مع وجود الإنسان على وجه الأرض وقد تعدى ذلك إلى الكائنات الحية الأخرى ، فمنذ ان وجد الإنسان كان دائم الترحال سعيا وراء أسباب الحياة معتمدا على الوسائل الأولية الطبيعية للعيش ، وقد ساعدت الهجرات على انتشار الجنس البشري في أرجاء المعمورة حيث تشكلت اولى المجتمعات البشرية وثقافاتها نتيجة لذلك الانتشار ، وقد شهد العراق أولى الهجرات في التاريخ ، ففي حدود الألف الرابع قبل الميلاد جاءت إليه موجات من المهاجرين من القبائل العربية لتستقر فيه على ضفاف دجلة والفرات ولتأسيس أولى الحضارات في التاريخ وقد كان جميع المهاجرين من عنصر واصل واحد تربطهم وشائج اللغة والتراث الذين ينتمون إليها جميعا ، هذا ومن المعتقد إن الهجرة كانت تتم بصورة تدريجية على النحو الذي نشاهده اليوم في هجرة القبائل العربية من الجزيرة العربية إلى وادي الرافدين ومن أمثلة الهجرات الحديثة هجرة قبائل شمر من ديارها في الجزيرة العربية (أراضي نجد منطقة حائل) فقد نزحت جماعات من هذه القبائل إلى العراق وعلى موجتين متتاليتين الأولى قبل خمسمائة سنة من بقاياها جماعة الغرير التي صارت تمارس الزراعة في منطقة المحمودية وجماعة ((زوبع)) في الفلوجة ، أما الموجة الثانية فقد دخلت العراق قبل ثلاثمائة سنة تقريبا ومن بقاياها ((شمر الجربا))[١].

وقد توسعت اتجاهات الهجرات في العصر الحديث عما كانت عليه في السابق فأصبحت تشمل الهجرات الخارجية خارج الحدود الإقليمية للدول وداخلية داخل حدود إقليم الدولة الواحدة .

---

١. د.احمد سوسة ، مفصل العرب واليهود في التاريخ ، دار الرشيد بغداد ١٩٨١ ص١٠٣-١٠٥

ومع ازدياد أعداد المهاجرين فان ما يرافق هذه الظاهرة ظهور العديد من المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فقد اجتذبت هذه الظاهرة العلماء والمفكرين من مختلف الاختصاصات للبحث العلمي المنظم لهذه الظاهرة وعلى الرغم من ان الهجرات الحديثة تتم بفعل عوامل طاردة وأخرى جاذبة إلا ان المهاجرين اخذوا يحددون أهدافهم من هجرتهم كما يحددون وجهتهم في الزمان والمكان وفي المجتمع العراقي حدثت أشكال متعددة من الهجرات ونتيجة لأسباب مختلفة منها ما يتعلق بفعل عوامل اقتصادية ومنها ما يتعلق بفعل عوامل سياسية او عسكرية ... الخ .

ويأتي بحثنا هذا لتناول هذه الظاهرة في إحدى مدن العراق وهي مدينة بهرز التي هي إحدى النواحي التابعة لقضاء بعقوبة في محافظة ديالى .

ومنذ اندلاع الحرب بين العراق وإيران في عام ١٩٨٠ هجر عدد من السكان قراهم الحدودية في منطقة مندلي واستقروا في مدينة (بهرز) وكونوا لهم حيا خاصا بهم وهو حي (الدواسير) وقد اجتذبت هذه الظاهرة نظر الباحث فاختار هذا البحث للدراسة الموسوم بـ (الهجرة والتكيف الاجتماعي) دراسة أنثروبولوجية في مدينة بهرز وقد استمرت الدراسة طيلة الأعوام (٢٠٠٣ -٢٠٠٥) حيث أقام الباحث في مجتمع الدراسة واتخذ من الملاحظة بالمشاركة أداة لانجاز بحثه ، حيث درس مشكلة التكيف الاجتماعي للمهاجرين كونها إحدى المشكلات الكبيرة التي تواجه المهاجرين لما لها من تأثير في الانحرافات السلوكية والمشكلات الاجتماعية الأخرى كالجريمة وغيرها.

وقد تالف هذا البحث من بابين هما :

الباب الأول : الدراسة النظرية وتتألف من أربعة فصول الفصل الأول ويضم خمسة مباحث المبحث الأول يبحث في مشكلة البحث ، المبحث الثاني أهداف البحث و المبحث الثالث فقد تناول أهمية البحث والمبحث الرابع تناول منهج البحث والمبحث الخامس

تناول أداة البحث ومجتمع الدراسة أما الفصل الثاني فقد تألف من خمسة مباحث هي : المبحث الأول الهجرة وتعريفها أما المبحث الثاني فتناول أنواع الهجرة ، أما المبحث الثالث فقد تناول نظريات الهجرة و المبحث الرابع تناول التكيف الاجتماعي وتعريفه أما المبحث الخامس فقد تناول أنواع التكيف الاجتماعي .

أما الفصل الثالث فقد تناول دراسة منهجية للمجتمع المهاجر إليه وهو مجتمع مدينة بهرز وتألف من ثلاثة مباحث المبحث الأول تناول مدينة بهرز رؤية تاريخية أما المبحث الثاني فقد تناول بهرز دراسة اجتماعية والمبحث الثالث فقد تناول الحياة الاقتصادية والاجتماعية لمدينة بهرز .

أما الفصل الرابع فقد تناول نظرية البحث حيث تكون هذا الفصل من خمسة مباحث هي :

المبحث الأول تاريخ النظرية الوظيفية اما المبحث الثاني فقد تناول معنى الوظيفة، أما المبحث الثالث فقد تناول طرق البحث في الاتجاه الوظيفي و المبحث الرابع تناول مفاهيم النظرية الوظيفية أما المبحث الخامس فقد تناول نماذج من الدراسات الوظيفية .

أما الباب الثاني فهو الدراسة الميدانية وتتألف من ثلاثة فصول ، الفصل الأول إطار تمهيدي عن مجتمع البحث وتتألف من ثلاثة مباحث المبحث الأول وتناول طبيعة الهجرة والمهاجرين في مدينة بهرز أما المبحث الثاني فقد تناول معلومات أولية عن مجتمع البحث و المبحث الثالث فقد تناول الأنساق الاجتماعية لمدينة بهرز وهي :

أ- النسق الايكوليجي

ب- النسق الاقتصادي

ج- النسق القرابي الذي يشمل العائلة والقرابة والزواج .

أما الفصل السادس المتضمن البناء الاجتماعي لمجتمع البحث فقد تالف من ستة مباحث المبحث الأول فقد تناول النسق الايكولوجي للمهاجرين أما المبحث الثاني فقد تناول النسق الاقتصادي للمهجرين أما المبحث الثالث فقد تناول النسق القرابي أما المبحث الرابع فقد تناول النسق التربوي ، أما المبحث الخامس فقد تناول النسق الديني للمهاجرين و المبحث السادس والأخير فقد تناول النسق السياسي للمهاجرين .

أما الفصل السابع فقد تناول أهم الاستنتاجات التي توصل إليها الباحث في ضوء الفرضية و النظرية والدراسة الميدانية حيث وضع في ضوء ذلك توصياته التي خرجت بها الدراسة .

والله ولي التوفيق

الباحث

تشرين الأول ٢٠٠٥م

الباب الأول
الدراسة النظرية

الفصل الأول : إجراءات البحث الأساسية

الفصل الثاني : تعريف المصطلحات

الفصل الثالث : دراسة منهجية لمجتمع مدينة بهرز

الفصل الرابع : نظرية البحث

الفصل الأول
إجراءات البحث الأساسية

المبحث الأول : مشكلة البحث

المبحث الثاني : أهداف البحث

المبحث الثالث : أهمية البحث

المبحث الرابع : منهج البحث

المبحث الخامس : أداة البحث

المبحث الأول : مشكلة البحث

تحاول هذه الدراسة الأنثروبولوجية الميدانية الكشف عن العلاقة بين الهجرة والتكيف الاجتماعي من خلال دراسة المهاجرين في مدينة بهرز ، فهذه المدينة التي ترتبط إداريا بمدينة بعقوبة كانت إلى عام ١٩٨٠م تكون مجتمعا محليا Community ذا خصائص اجتماعية وثقافية تختلف عن الخصائص الاجتماعية والثقافية في محافظة ديالى .

لقد هاجرت إلى المدينة مجموعات كبيرة من السكان من الخارج بسبب حرب الخليج الاولى بين العراق وإيران عام ١٩٨٠م وبالتحديد من المدن والقرى والقصبات الحدودية التي تعرضت للقصف أثناء الحرب ومن محافظات أخرى مثل البصرة والعمارة والناصرية بسبب عوامل اقتصادية وبحثا عن فرص للعمل في البساتين والمزارع .

وانشأ المهاجرون حيا خاصا بهم على الطرف الجنوبي الشرقي للمدينة ، ومن الطبيعي والحالة هذه ان تظهر مع مرور الزمن علاقات اجتماعية وقيما وتقاليد وعادات جديدة لم يألفها سكان المدينة الأصليون من قبل بسبب التباين الواضح في بعض العادات والتقاليد التي حملها المهاجرون معهم وبين العادات والتقاليد الأصلية السائدة في المجتمع البهرزي ، بيد ان مشكلة استيعاب (تمثيل) (Assimilation) المهاجرين يبرز بشكل واضح ، إذ يستعمل هذا الاصطلاح بالنسبة للمهاجرين او الأقلية وهي عملية مدى قبول او رفض السكان الأصليين للأفراد الذين هاجروا إليه.[١]

ويعبر هذا المفهوم عن تمثيل الأفراد والجماعات في طباعهم ومصالحهم وأهدافهم بفعل التكيف وبذلك يتقبلون ثقافة بعضهم بعضا ، ويتكون من الأنواع الثقافية المختلفة نوع واحدا يسودهم .

---

١. دينكن ميشيل ، معجم علم الاجتماع، ترجمة د. إحسان محمد الحسن، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٠،ص٢٩.

وقد يكون هذا التماثل أحادي الاتجاه أي اختفاء الوحدة الثقافية المميزة لجماعة نتيجة لاكتسابها الكلي لثقافة الجماعة المستقبلة.أو تماثل ثنائي الاتجاه أي انصهار ثقافة الجماعة القادمة والجماعة المستقبلة وفقدانها لسماتها الأولية وظهور ثقافة جديدة.[١]

ويعتقد البعض بان تمثيل واستيعاب الأقلية يكون بعد قيامها بتبديل طراز حياتها وإفكارها وعاداتها والتحلي بعادات وتقاليد المجتمع الذي تعيش فيه إلا ان البروفيسور ايزنشتايد (Eisenstadt) يذكر في كتابة (امتصاص المهاجرين) إن استيعاب الأقلية لا يتم إلا بعد ما يقوم المجتمع الكبير بتبديل جزء من نظامه السلوكي والفكري والعقائدي بحيث يتناسب هذا التبديل مع سلوكية وأفكار ومعتقدات الأقلية وهذا يحدث بعد اتصال المجتمع الكبير بالأقلية المهاجرة [٢] .

إن عملية التكيف بين السكان الأصليين و المهاجرين كانت المشكلة الأساسية التي لفتت انتباه الباحث فالمهاجرون يحاولون التكيف مع قيم وعادات وسلوك السكان الأصليين في بهرز في حين إن السكان في المدينة كانوا يتعاملون بحذر مع المهاجرين وبنوع من الريبة والشك إزاء عادات وقيم وسلوك المهاجرين وقد أدى ذلك إلى بروز سلوكيات سلبية مرفوضة من المجتمع المحلي الأصلي ، مثلا دخول المرأة إلى السوق أو عملها في البساتين مثل هذه العلاقة بين الجماعة الوافدة (المهاجرة الصغيرة) ويبين السكان الأصليين (المستقبلين في مدينة بهرز ومدى التمثيل والاستيعاب أحدهما للآخر في ضوء الثقافة التي ينتمي إليها كل منها وهي تنطوي عليها مشكلة بحثنا .

هذا ويمكن صياغة مشكلة بحثنا على وفق التساؤل الآتي :-"ما مدى تكيف واندماج الجماعات المهاجرة الآتية من مختلف محافظات قطاعات االمجتمع العراقي مع السكان الأصليين (المستقبلين) في مدينة بهرز وتمثيلها لثقافتهم"؟

---

٢. احمد زكي , بدوي ، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت ، ١٩٨٢، ص٢٧٨

٢. دينكن ميشيل ، معجم علم الاجتماع ، مصدر سابق ، ص٢٩ .

المبحث الثاني : أهداف البحث

يهدف البحث إلى الكشف عن العلاقة بين الهجرة والتكيف الاجتماعي في مدينة بهرز من خلال الإجابة عن الأسئلة الآتية :-

١- ما العوامل الاجتماعية التي تؤثر في نمط العلاقات الاجتماعية الإيجابية والسلبية بين المهاجرين والسكان الأصليين في مدينة بهرز ؟

٢- هل العلاقة الجديدة بين المهاجرين والسكان الأصليين في بهرز طوعية – اختيارية ام نتيجة في العمل المشترك (براغماتية) بين المهاجرين والسكان الأصليين ؟ ويتم ذلك من خلال ما يأتي :-

أ- دراسة تبادل المنافع والخدمات كوسيلة للتكيف الاجتماعي .

ب- هل أصبحت حالة الفرد المهاجر كحالة السكان الأصليين بعد اندماجه في المجتمع الجديد؟

المبحث الثالث : أهمية البحث

تكمن أهمية البحث في الآتي :-

أ- الأهمية العلمية

تهدف هذه الدراسة إلى الإجابة عن تساؤلات طرقتها عدد من الدراسات التي تناولت موضوع الهجرة وحركة المهاجرين الذين ارتحلوا لأسباب متعددة من مناطق عيشهم والتغيرات الاجتماعية والثقافية التي طرأت على حياتهم وخاصة في ما يتعلق في عملية التكيف الاجتماعي التي يواجهها المهاجرون في البيئة الجديدة ، ولذلك فان هذه الدراسة تأتي إلى جانب الدراسات الاجتماعية التي أجريت في العراق كمحاولة للكشف عن مدى قدرة المهاجرين على التكيف الاجتماعي مع الأوضاع الاجتماعية والثقافية السائدة في المناطق السكنية الجديدة التي يستقرون فيها ، كما تحدد أهمية البحث بكونه محاولة لتفسير النتائج الإيجابية أو السلبية التي تنتج عن الهجرة بقصد

معالجة الظواهر السلبية وتعزيز الجوانب الإيجابية وإذا ما تتبعنا الدراسات الأنثروبولوجية التي أجريت في مناطق متعددة من العالم والتي تناولت ظاهرة الهجرة والمهاجرين والمشكلات التي نجمت عن هذه الظاهرة فان أهميه هذه الدراسة تكمن في النتائج التي توصلت إليها ، كما إن أهمية هذا البحث تكمن في السعي إلى إضافة دراسة علمية جديدة لتكون مدخلا لدراسة ظاهرة الهجرة ومن أطر متعددة .

ب ـ الأهمية التطبيقية :

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن طبيعة مشكلة التكيف الاجتماعي للمهاجرين ومعالجتها من خلال تناول هذه الظاهرة بدراسة أنثروبولوجية للمهاجرين الذين استوطنوا في مدينة بهرز وذلك بهدف الوصول إلى تعميمات يمكن من خلالها معالجة الظواهر المماثلة لها في مجتمعنا أو المجتمعات الأخرى

المبحث الرابع : منهج البحث

إن المنهج الذي تم اعتماده في هذه الدراسة هو المنهج الوظيفي البنائي الذي يعتمد على المنهج الوصفي إذ يتم تجميع الحقائق والمعلومات ثم مقارنتها وتحليلها وتفسيرها لغرض الوصول إلى تعميمات للوصول إلى أهداف الدراسة.[١]

ان طبيعة هذه الدراسة تستدعي استخدام هذا المنهج لمعرفة ثقافة الجماعات المهاجرة (Subculture) في إطار تفاعلها مع البيئة الاجتماعية للمجتمع البهرزي تمثلا واندماجا او تضادا أو تقاطعا إذ أن البحث عن أغوار الواقع المستهدف يستلزم في البداية وصفه وصفا دقيقا في ضوء الحالة الراهنة وهو ما ينسجم مع المنهج البنائي الوظيفي وفي خطوة تالية ينتقل إلى مستوى التحليل والتفسير لاستخلاص دلالات الظاهرة المدروسة ثم مقارنتها بالدراسات السابقة لها ، كدراسة المرحوم الدكتور شاكر مصطفى سليم لمجتمع الجبايش.[٢]

---

١. احمد زكي بدوي ، أصول البحث العلمي ومناهجه ، وكالة المطبوعات ، الكويت ١٩٧٣ ، ص٢٣٥ .

٢. د. شاكر مصطفى سليم ، الجبايش ، ج١ ، مطبعة الرابطة بغداد ، ص ل .

ودراسة الدكتور علاء الدين البياتي لواحة شثاثة [١] وهو المنهج الملائم لدراسة المجتمع المحلي Community وفي بهرز لغرض التعرف على السمات والخصائص الاجتماعية والثقافية لمجتمع هذه المدينة وكذلك لفهم وتفسير التكيف الاجتماعي والثقافي للمهاجرين الذين سكنوا هذه المدينة وهم يحملون خصائص وسمات اجتماعية وثقافية تختلف نوعا ما عن السمات والخصائص الاجتماعية والثقافية لسكان المدينة الأصليين .

ومن الدراسات الأجنبية التي اتبعت هذا المنهج دراسة (وليفريد ثيزيجر)[٢] W.Thesiger والتي تعد من الدراسات المهمة التي كشفت طبيعة الحياة الاجتماعية في جنوب العراق في النصف الأول من القرن العشرين وهي حياة قبلية شبه بدائية تطغى عليها علاقة الإنسان بالطبيعة بشكل بارز ، إذ القرى المستقرة بيوتها على اليابسة بمحاذاة المساحات المائية أو البيوت القائمة على ارض من قصب تطفو على الماء ، والمجتمع المكتفي بإنتاجه إلا فيما ندر. إذ يعيش السكان على الأرز والسمك واصطياد الطيور وحليب الجاموس وهي أهم الأغذية ويسهب الباحث في وصف البيئة الطبيعية في جنوب العراق ويقول ان الأهوار تمتد جنوب العراق لتمثل أجزاء من مناطق شاسعة من ذي قار وميسان والبصرة وأهمها هور الحمار، وهور الشويجة ، وهور الجبايش، وتجتاز الحدود العراقية الإيرانية نحو الاحواز .

يغوص الكاتب (ويلفريد ثيزيجر) في أعماق الحياة اليومية لعرب الاهوار ويسجل وقائعها كما تقع أثناء حركة السكان وأثناء ثباتهم ،فكانت بذلك دراسته تصويرا دقيقا صادقا لهذا الجزء من العالم الذي ظهرت فيه أولى الحضارات الإنسانية ،إذ حقق

---

١. علاء الدين جاسم البياتي ، علم الاجتماع بين نظرية والتطبيق ، دار التربية ، بغداد ، ط١ ، ١٩٧٥ ، ص١٩ .

٢. إنسانيات، المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا الاجتماعية، عدد(٧) جانفي، افريل،١٩٩٩ مجلد(I,IIII)، مركز البحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية ص٦٩-٧٠.

السومريون فيها اكبر انجاز حضاري وأقاموا المدن والدول مثل (أور) و(أكد) و(الوركاء) وفيها طوروا الزراعة ودجنوا الحيوانات وشكلوا الجيوش ويمضي الباحث (ثيز يجر) في تحليل الحياة الاقتصادية لعرب الاهوار جنوب العراق فيؤكد ان البيع منبوذ من ((عرب الأهوار)) مع إيجابهم المقايضة ويسمون مربي الجاموس ((المعدان)) مفردها ((معيدي)) ويحتقرونهم لأنهم يبيعون ما فاض عن حاجتهم من حليب ومشتقاته ويصف الباحث (ثيز يجر) الزعامة السياسية في القبيلة ويؤكد ان أهم الشخصيات في القبيلة هم الشيخ والمؤمن والسيد ، الأول حاكم القبيلة وصاحب نسب صريح فيها وصاحب أملاك ، والمؤمن هو رجل الدين المثقف والسيد هو من كان نسبه يعود إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، واهم ما يميز القبيلة هو (المضيف) وهو بيت مادة بنائه الأساسية القصب يجتمع فيه رجال القبيلة بحضور الشيخ او المؤمن او السيد ويتخذون القرارات الهامة بشان قبيلتهم كالنواحي السياسية او الاقتصادية او الاجتماعية او الثأر او الفصل .

وعن المتصل الريفي الحضري يؤكد المؤلف ان قرى الاهوار تتصل بالمدينة عن طريق الماء بواسطة (شختور) او (البلم) او (مشحوف) لاقتناء القليل بمقابل (عيني) فإذا باع الشخص السمك بالنقود سمي بربريا وإذ باع الخضر سمي حواسا ومن حمل هذه الصفات تجنب الناس مصاهرته لاحتقارهم الحرفة التي يعتاش منها .

هكذا رسم (ويلفريد ثيزيجر) لعرب الاهوار ولحياتهم صورة رائعة لا غنى للباحث في الانتروبولوجيا عن مطالعة مادتها وملامحها لفهم الشعوب وعبقريتهم في استجلاء الوسط الأكبر بدائية وتحويل عناصره الى حضارة : أليست العبقرية ان تصنع مما هو بدائي فنا ؟ بهذا التساؤل ينتهي (ثيزيجر) دراسته .

لقد أسهبنا في عرض الدراسة ذلك لأننا نرى ان المنهج الذي اتبعه هو المنهج نفسه الذي سارت عليه دراسة الدكتور سليم للجبايش كما إنها أجريت في الفترة الزمنية نفسها تقريبا .

ذلك أننا نجد تماثلا في تحليل ووصف الحياة الاجتماعية والثقافية بين الدراستين .

وعلى الرغم من تأكيدنا على الابتعاد عن المنهج السوسيولوجي القائم على التكميم إلا إننا سوف نستعين ببعض البيانات التي توفر لنا معلومات عامة عن عدد السكان الأصليين وعدد المهاجرين ومناطق سكناهم الأصلية لكن هذه البيانات لا تدخل في دراسة العلاقات الاجتماعية والثقافية القائمة بين الجماعة المحلية الأصلية والسكان الجدد .

كما انه من الضروري الإشارة إلى ان الباحث اعتمد كثيرا على المقابلات الشخصية المباشرة مع المؤرخين والباحثين الذين كتبوا عن بهرز وكذلك مع كبار السن وشيوخ العشائر والموظفين الحكوميين ومختاري المناطق السكنية وملاك البساتين وذوي الخبرة والمعرفة بالنظم الاجتماعية والقرابية والاقتصادية والسياسية القائمة في مدينة بهرز واستخلاص النتائج المترتبة والمؤثرة في هذه النظم التي سببتها الهجرة التي تعرضت لها المدينة .

كما قام الباحث بزيارة بعض الدوائر الحكومية للحصول على المعلومات التاريخية التي تخص المدينة والخرائط الخاصة بها . وسار الباحث على المنهج ذاته الذي سارت عليه الدراسات الانتروبولجية وهو الإقامة في المجتمع المبحوث ولا بد من الإشارة إلى ان الأهداف المتوخاة في هذه الدراسة وهو البحث في طبيعة العلاقات الاجتماعية والثقافية والتفاعل او عدم التوافق بين المهاجرين والسكان الأصليين ، ودور هذه العلاقات في عملية التكيف الاجتماعي للمهاجرين وقياس مدى تلاؤمهم مع القيم والعادات والتقاليد السائدة في المجتمع المحلي في بهرز .

ذلك لانه عندما يتغير المجتمع يفرض هذا التغيير تعديل القيم القديمة وإحلال قيم جديدة محلها لتعبر عن الأيديولوجية الجديدة في حين تظل القيم القديمة معترفا بها عند بعض السكان[١] ، إلا ان الباحث استعان بالعديد من البيانات التي توفر لنا معلومات عامة عن عدد السكان الأصليين وعدد المهاجرين ومناطق سكناهم الأصلية لكن هذه البيانات لا تدخل في دراسة العلاقات الاجتماعية والثقافية القائمة بين الجماعة المحلية الأصلية والسكان الجدد ، وحيث تعتمد هذه الدراسة على تشخيص مشكلات محددة فكان لابد من اعتماد صيغة المسح الاجتماعي كونه منهجا لجمع وتحليل لبيانات الاجتماعية وذلك بقصد الكشف عن توزيع بعض الخصائص الاجتماعية كالسن والمهنة والتعليم .

المبحث الخامس: أداة البحث

لغرض الوصول إلى أهداف هذه الدراسة فقد تم استخدام أداة الملاحظة للمشاركة (الاقامة الدراسية) Participant observation وان هذه الأداة تعني إشراك الباحث في حياة الناس الذين يقوم بمشاهدتهم ومساهمته في أوجه النشاط التي يقومون بها لفترة مؤقتة هي فترة المشاهدة ، ويتطلب هذا النوع من الملاحظة أن يكون الباحث عضوا في الجماعة التي يقوم بدراستها وان يتجاوب مع الجماعة ويتفاعل معها وان يمر في الظروف نفسها التي تمر بها ويخضع الجميع للمؤثرات التي تخضع لها .

ولا يكشف المشاهد عن هويته او يفصح عن شخصيته ليكون سلوك الجماعة تلقائيا ، وقد يكشف الباحث عن شخصيته ويفصح عن غرضه ، وهنا قد يألفه أبناء المجتمع بمرور الزمن ويصبح وجوده شيئا اعتياديا ، وتقتضي هذه الأداة ان يقوم الملاحظ بتسجيل كل ما يتم ملاحظته في الوقت نفسه الذي تجري فيه الملاحظة ، ومن الممكن أن يقوم الباحث بكتابة بعض الكلمات أو النقاط الرئيسة على بطاقة خاصة معدة لهذا الغرض ثم يقوم بتدوين المعلومات والتفصيلات عن الأشياء التي لاحظها في أوقات

---

١. محمد عاطف غيث ، التغيير الاجتماعي والتخطيط ، دار المعارف القاهرة ، ط٢، ١٩٦٦ ،ص١٢٥.

أخرى[١] إن طريقة الملاحظة بالمشاركة هي من الطرق المهمة والأساسية في جمع المعلومات من الميدان ، وقد استخدمت في كثير من ميادين العلوم الإنسانية كالانثربولوجيا والاجتماع والسياسة والتاريخ والجغرافية وعلم النفس الاجتماعي والاقتصادي وغيرها من العلوم الطبيعية.[٢] وتحتاج العلوم الاجتماعية المختلفة الى حقائق موضوعية حول المتغيرات والظواهر التي تدرسها وهذه العلوم تهتم بدراسة النشاطات الإنسانية المختلفة ، فعندما نريد جمع حقائق ومعلومات عن البيئة الاجتماعية والمؤثرات المادية وغير المادية التي تؤثر فيها ونريد معرفة أسس ومقومات الحياة الاجتماعية من درجة نشوئها وتطويرها وسرعة نموها وتقدمها فإننا نستخدم هذه الطريقة[٣]. وقد استعمل طريقة الملاحظات بالمشاركة في الكثير من الدراسات الانتروبواوجية والاجتماعية فدراسة تجربة هورثون التي قام بها البروفيسور (التون مايو) أستاذ علم الاجتماع الصناعي في جامعة هارفرد الأمريكية استعملت طريقة الملاحظة بالمشاركة[٤] كما ان أبحاث العالمة (روث بندكت) تعد من روائع الدراسات الأنثروبولوجية التي اعتمدت اسلوب الملاحظة بالمشاركة .

وقد استعملها الباحث في بحثه هذا لأنه وجد هذه الطريقة هي الطريقة المثلى في حصوله على المعلومات المطلوبة حيث أقام الباحث فترة سنتين متتاليتين في منطقة مجتمع البحث وسكن دارا في مركز جمع المهاجرين مما أتاح له فرصة الملاحظة المباشرة بمجتمع البحث.

---

١. د.إحسان محمد الحسن موسوعة علم الاجتماع، الدار العربية للموسوعات، بيروت،١٩٩٩ ص٦١١-٦١٢.

2. Festinger ، l. and karts ، d. research methods in the behavioural scinces ، staples press ، London، 1954 . see the ch written by heyns and zander on participant opservation.

3. Mosev ، c.a.survey Methods insocialbestigation ، Heineman in ، London ، 1967 ، p.180 .

٤. د.إحسان محمد الحسن و د. عبد المنعم الحسني، طرق البحث الاجتماعي، مطابع جامعة الموصل،١٩٨٢، ص٢٤٤.